



مُنْتَازُ الْأَسْعَدِي

غزة تحاصرني ... فهل تحاصركم؟! ...!

١- هل تصدقون؟

وكيف تصدقونني وأنا لا أكاد أصدق نفسي؟ أعجز عن الكتابة عن ملحمة غزة، بعد خمسة وثلاثين عاماً من احتراف الصحافة، حيث كتبت ألوف المقالات وعشرة من الكتب؟ ما الذي يجري لأناملي كلما توجهت إلى هذا الموضوع تحديداً، مع أن المعلومات لا تنقصني لو أردت أن أكتب من زاوية التحليل السياسي، ولا المشاعر شاحبة في صدري إن شئت أن أعبر عن مكونات قلبي.

٢- بقية حياة
أرهقني السؤال عن فشلي كثيراً، وحين عثرتُ على جواب، صرختُ بصمت: وجدتُها، لكنني لم أفعل فعل أرخميدس، على الأقل لأنني لم أكن أستحم حين ألهمني ربي فعرفت سر إخفاقي.
أنا عاجز لأن خجل من تقصيري الفاضح، ولم تفلح كل المبررات التي لفتتُها لأريج ضميري، وأرقد وكأنني جئت بمفتاح القدس.
فكل ما فعلته لغزة الباسلة في محنتها البطولية، قليل من الدراهم، مع علمي بأن كنوز الدنيا كلها لا تعادل ظفر طفل من أطفالها قضى نحبه على أيدي قتلة الأنبياء.

٣- حديث إبليس
غير أن إبليس لم يتركني وشأني، فقد قال لي- فُضَّ فوه وكثر شأنوه -: وما الذي تستطيع تقديمه لأهل غزة سوى المال بقدر وسعك والدعاء لهم بالنصر والثبات؟ وكيف تقدر على مد يد العون لهم بغير هاتين الوسيلتين؟
ولا أخفي عليكم أن الخبيث كاد يضحك على عقلي فأنظأهر بأثني اقتنعت!! ثم تذكرت أن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم كان يعد العدة لمواجهة العدو بكل ما يتاح له من قوة: من إعداد المقاتلين المؤمنين الشجعان وتدريبهم وحضهم على الثبات ورفع روحهم المعنوية، وكذلك جمع المعلومات الحساسة عن مواقع العدو وتحركات جنوده، وتضليل الخصم، ثم حسن اختيار مراكز الجند المؤمنين، ثم يرفع يديه الشريفتين متضرعاً إلى مولاه عز وجل أن يَمُنَّ على العصاة المؤمنة بالنصر والتمكين!!

٤- حماس ومواثيق مضحكة / مبكية...
لم يقنط الشيطان من إقناعي، قال: لولا حركة حماس لما تخلى الناس نصرة غزة إلى هذه الدرجة. قلت: الجرائم التي ارتكبتها الصهاينة وحشية غير مسبوقة، وسوف أقترض- جدلاً- أن حماس مجموعة من قطاع الطرق اختطفت قطاع غزة، أفيسلط الوحوش على المخطوفين فيفتكوا بهم ويدكوا المساجد والمدارس والمستشفيات على رؤوس الأبرياء؟ هذا مع أنني لست مع فضيل أو ضد آخر، فهم زائلون بخيرهم وشرهم، وتبقى القضية.
قال: إن التعهدات الدولية تمنع ما تريد. قلت: إن الله سبحانه أباح للمضطر أكل لحم الميتة بقدر ما ينقذ حياته، فهل هذا العذر الباهت يفتن المجانين بأن مواثيق مفروضة لا يحترمها العدو، تجيز استمرار المعاناة الفظيعة؟ ألم يعجز ما يسمى المجتمع الدولي عن حماية مدارس وكالة غوث اللاجئين - التابعة للأمم المتحدة!!- من قنابل الفوسفور الأبيض؟
إن محنة غزة الأخيرة مرآة عكست صورتنا القبيحة كأمة ذات قدرات هائلة لكنها تجبن عن استخدامها. كما عكست في المقابل صورة تفوق الخيال، عن شعب صبور ومصابر ومرابط يدفعه الإيمان إلى تحقيق ما يشبه الأساطير.

وعندما أفلس إبليس من ذرائعه الواهية، اضطر أن يهمس في أذني: وهل تجد أعداد المصلين في صلاة الفجر هي ذاتها أعداد المصلين في صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء، إلا في غزة؟

باحث وإعلامي سوري

٥- هل تصدقون؟
وكيف تصدقونني وأنا لا أكاد أصدق نفسي؟ أعجز عن الكتابة عن ملحمة غزة، بعد خمسة وثلاثين عاماً من احتراف الصحافة، حيث كتبت ألوف المقالات وعشرة من الكتب؟ ما الذي يجري لأناملي كلما توجهت إلى هذا الموضوع تحديداً، مع أن المعلومات لا تنقصني لو أردت أن أكتب من زاوية التحليل السياسي، ولا المشاعر شاحبة في صدري إن شئت أن أعبر عن مكونات قلبي.

٦- بقية حياة
أرهقني السؤال عن فشلي كثيراً، وحين عثرتُ على جواب، صرختُ بصمت: وجدتُها، لكنني لم أفعل فعل أرخميدس، على الأقل لأنني لم أكن أستحم حين ألهمني ربي فعرفت سر إخفاقي.
أنا عاجز لأن خجل من تقصيري الفاضح، ولم تفلح كل المبررات التي لفتتُها لأريج ضميري، وأرقد وكأنني جئت بمفتاح القدس.
فكل ما فعلته لغزة الباسلة في محنتها البطولية، قليل من الدراهم، مع علمي بأن كنوز الدنيا كلها لا تعادل ظفر طفل من أطفالها قضى نحبه على أيدي قتلة الأنبياء.
وكذلك دعوتُ وما زلتُ أدعو، لكن الدعاء عندما يأتي من المتتدرين يغدو نقطة سوداء في سجلي، فالدعاء وحده طيب إذا قام به عجائز أو أسرى أو عاجزون بديناً أو عقلياً!!
وخلصتُ إلى نتيجة معقولة: أنا أستحيي إذا أنا إنسان.